من حكم وأسرار ظاهرة التكرار في القرآن الكريم

تاريخ الإيداع: 2017/08/16	17-33	تاريخ القبول: 2017/00/00

الملخص:

يعالج هذا البحث موضوعا بالغ الأهمية في الدرس اللغوي ألا وهو : ظاهرة التكرار في القرآن الكريم؛ وتكمن أهمية هذا الموضوع من جهتين: أولا كونه يُعد مظهرا من مظاهر الإعجاز البياني في القرآن الكريم، وثانيا كونه يخضع في كلام البشر لمعايير الحسن والقبح حسب ما يقتضيه المقام؛ فهو محمود في مواطن الإطناب، مذموم في مواطن الإيجاز والاختصار، ولهذا كثيرا ما يُساء فهم هذه الظاهرة، ونظرا لخطورة هذا الأمر حاولنا من خلال هذا البحث أن نستنبط أهم الحكم والأسرار المستقاة من هذه الظاهرة في القرآن الكريم مقدمين لذلك بتعريف "التكرار" لغة واصطلاحا، ثم بيان الفرق بينه وبين "المتشابه اللفظي" و"تصريف القول" أو "التصريف البياني"، دون أن نغفل عن تحديد المصطلح الأنسب من بين هذه المصطلحات في مجال الدراسة اللغوية التي نحن بصددها.

الكلمات المفتاحية: حِكَم؛ أسرار؛ ظاهرة؛ التكرار؛ القرآن؛ الكريم.

Abstract:

This research deals with a very important topic in the linguistic lesson: the phenomenon of repetition in the Holy Quran, The importance of this subject is twofold: First, it is considered a manifestation of the miraculous graphic in the Holy Quran, and secondly because it is subject in the words of human beings to the standards of goodness and ugliness as required by the context speech, we have tried to deduce the most important benefits and secrets derived from this phenomenon in the Holy Quran by introducing "repetition" as a language and a term. Then statement the difference between him and me "Verbal of Like" and "discharge to say" or "discharge graph", without forgetting the identification of the most appropriate term of these terms in the field of linguistic study in question.

Key words: benefits; secrets; repetition; phenomenon; Holy; Quran.

مقدمة:

طالما شغلت ظاهرة التكرار في القرآن الكريم علماء العربية وعلماء التفسير على حد سواء؛ فبذلوا جهودا معتبرة في تجلية هذا الموضوع، وقد بلغت هذه الجهود ذروة التوهج العلمي في دراسات كل من الخطيب الإسكافي (ت 420هـ)، والكرماني (ت 505هـ)، وابن الزبير الغرناطي (708هـ)، وابن جماعة الأنصاري (ت790هـ)، والزركشي (ت 794هـ)، ثم توالت البحوث والدراسات إلى يومنا هذا. فحدد هؤلاء العلماء ومن سار على نهجهم مفهوم التكرار مع اختلاف في تسميته؛ فمنهم من يسميه "تكرارا"، ومنهم من يسميه "تكريرا"، ومنهم من يطلق عليه لفظ "المتشابه اللفظي"، وطائفة أخرى تدعوه ب"تصريف القول" مع تقارب كبير في مدلولات هذه المسميات.

ثم حددوا أقسامه وأنواعه معتمدين في ذلك على تتبع واستقراء كلام العرب، كما بينوا أسراره وأغراضه وفوائده استنباطا من كلام الله عز وجل؛ وعلى ضوء ما سبق يتساءل الباحث:

- ما المقصود ب "التكرار" لغة واصطلاحا؟ وما هي الفروق الدقيقة بين هذا المصطلح ومصطلحي "المتشابه اللفظي" و"تصريف القول"؟، وما هو المصطلح الأنسب من بين هذه المصطلحات في مجال الدراسة اللغوية؟

- ما هي أهم الحكم والأسرار والفوائد التي توصل إليها العلماء في دراستهم لهذه الظاهرة؟

1- تعريف التكرار:

أ- لغة: جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس (ت395ه):« "كرَّ": الكاف والراء أصل صحيح يدل على جمع وترديد، ومن ذلك كررت؛ وذلك رجوعك إليه بعد المرة الأولى، فهو الترديد الذي ذكرناه»،[1] وجاء في لسان العرب لابن منظور (ت 711ه):« "كرَّر": "الكرُّ" هو الرجوع، ويقال: كرّه وكر بنفسه يتعدى و لا يتعدى، والكر: مصدر كرّ عليه يكرّ كرا وكرورا وتكرارا، وكرّ عنه: رجع، وكر على العدو يكر، ورجل كرّار ومكرّ وكذلك الفرس. وكرّر الشيء وكركره أعاده مرة بعد أخرى، ويقال: كررت عليه الحديث وكركرته إذا رددته عليه».[2] أما مجمع اللغة العربية فيعرف مصطلح "التكرار" بأنه «إعادة الشيء مرة بعد أخرى؛ فكرر الشيء تكريرا و تَكرارا أعاده مرة بعد أخرى، وتكرر عليه كذا أُعيد عليه مرة بعد أخرى».[3]

فالتكرار لغة هو ذكر الشيء أو فعله مرتين فما فوق وهو يفيد ضربا من التأكيد، غير أنه يُفرق بين التكرار والتأكيد بأن التأكيد شرطه الاتصال وأن لا يزيد على ثلاثة؛ كقوله تعالى:﴿ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾[الفجر: 21]، وقولنا: "أقبل محمد محمد"، والتكرار لا يُشترط فيه ذلك؛ فتكرار الشيء هو الرجوع إليه بعد المرة الأولى فعلا كان أو قولا.

ومن خلال استعراضنا لما جاء في المعاجم السالفة الذكر يجتمع لدينا ثلاثة ألفاظ متقاربة في المعنى وهي:
التَّكرار: مصدر "كرّر" وهو شاذ غير مطرد في الباب.
التكرير: مصدر "كرر"، وهو المطرد الذي يُقاس عليه الباب.
التِّكرار: اسم باتفاق أهل اللغة.

ب- اصطلاحا: يعرفه إبراهيم عبادة بقوله:«يُطلق على ضم الشيء إلى مثله في اللفظ مع كونه إياه في المعنى للتوكيد والتقرير، والغالب فيما يفيد التوكيد أن يُذكر بلفظين فصاعدا، لكنهم اختصروه في بعض المواضع بإجرائه مجرى المثنى والمجموع لمشابهته لهما من حيث أن التأكيد اللفظي أيضا ضم الشيء إلى مثله في اللفظ وإن كان إياه في المعنى، ومن ذلك قولهم "لبيك وسعديك"، وقوله تعالى:﴿ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾[الملك: 4]

في كون اللفظ في صورة المثنى وليس به»،[4] وجاء في معجم المصطلحات النحوية والصرفية أن التكرار:«إعادة اللفظ أو الجملة، وقد يكون في الحروف نحو: "إن إن محمدا قائم"، أو في الجمل نحو قوله تعالى:﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (5) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾[الشرح: 5، 6]».[5] ونلاحظ أن هذين التعريفين لم يفرقا بين التكرار والتأكيد، ولذلك فإن التكرار بمعناه الاصطلاحي الدقيق هو إعادة اللفظ أو الحرف أو الجملة باللفظ والمعنى مرة أو مرتين أو ثلاث مرات فما فوق لغرض التأكيد والتقرير غالبا أو لغرض آخر يقتضيه المقام، ولا يُشترط في هذه الإعادة اتصال الألفاظ المكررة بعضها مع بعض، ولا أن لا يزيد عدد مرات الإعادة فيه على ثلاث مرات بخلاف التأكيد.

2- الفرق بين "التكرار" و"المتشابه" و"تصريف القول":

أ- الفرق بين "التكرار" و "المتشابه":

بعدما عرَّفنا "التكرار" يجدر بنا أن نحدد ماهية "المتشابه" كي نوازن بين المصطلحين. يذكر علماء اللغة أن المتشابه يُطلق على ما يلتبس ويتماثل من الأشياء؛ يقول ابن فارس (ت395ه) :«الشين والباء والهاء أصل واحد يدل على تشابه الشيء وتشاكله لونا ووصفا، والمشتبهات من الأمور المشكلات، واشتبه الأمران إذا أشكلا»،[6] ويقول الزمخشري (ت538ه) في "أساس البلاغة":«واشتبهت الأمور وتشابهت: التبست لاشتباه بعضها بعضا، وفي القرآن: المحكم والمتشابه، وشُبه عليه الأمر: لُبس عليه، و"إياك والمشبَّهات": الأمور المشكلات »،[7] أما عبد الرؤوف المناوي (ت1031ه) فيعرف المتشابه بأنه "المشكل الذي يُحتاج فيه إلى فكر وتأمل".[8] ومتشابه القرآن على نوعين:

1- المتشابه المعنوي: وهو الذي يقابل المحكم، وهذا النوع قد أثار جدلا واسعا بين العلماء لمعرفة كنهه وأسراره الخفية في القرآن الكريم؛ والمقصود به ما أُشكل فهمه والتبست معرفته أو ما استأثر الله سبحانه وتعالى بعلمه كالغيبيات وعلم الساعة، وقد تناوله الدارسون لعلوم القرآن كالزركشي (ت 794ه) حيث تناوله في كتابه "البرهان" في النوع السادس والثلاثين "معرفة المحكم من المتشابه"، والسيوطي (ت911ه) في كتابيه "الإتقان في علوم القرآن" و"معترك الأقران في إعجاز القرآن"، ومن أبرز الكتب التي أُفردت لهذا النوع من المتشابه كتاب "حقائق التأويل في متشابه التنزيل" للشريف الرضي (ت 406ه)، و كتاب "متشابه القرآن" للقاضي عبد الجبار (ت 415ه).

2- المتشابه اللفظي: والمراد به الآيات التي تكررت في القرآن الكريم بألفاظ متشابهة وأساليب مختلفة من تقديم وتأخير، وذكر وحذف، وتعريف وتنكير ،وإفراد وجمع، وإيجاز وإطناب، وإبدال حرف بحرف آخر ،أو كلمة بغيرها، مع اتفاق المعنى العام لغرض بلاغي ومعنى خفي؛ يقول الزركشي في تعريف هذا النوع من المتشابه:« وَهُوَ إِيرَادُ الْقِصَّةِ الْوَاحِدَةِ فِي صُوَرٍ شَتَّى وَفَوَاصِلَ مُخْتَلِفَةٍ، وَيَكْثُرُ فِي إِيرَادِ الْقَصَصِ وَالْأَنْبَاءِ،

وَحِكْمَتُهُ التَّصَرُّفُ فِي الْكَلَامِ وَإِتْيَانُهُ عَلَى ضُرُوبٍ لِيُعْلِمَهُمْ عَجْزَهُمْ عَنْ جَمِيعِ طُرُقِ ذَلِكَ مُبْتَدَأً بِهِ وَمُتَكَرِّرًا »،[9] ويظهر من سياق كلام الزركشي أنه يريد بالقصة الموضوع مطلقا ولا يقصد القصة القرآنية حصرا.

أما فيما يخص التفريق بين المصطلحين فلا نجد فيما بين أيدينا من أقوال العلماء ما يشير إليه صراحة سوى إشارة ضمنية نلمسها في كلام الخطيب الإسكافي (ت420ه)؛ يقول في بيان سبب تصنيفه لمصنفه "درة التنزيل وغرة التأويل":« تدعوني دواع قوية يبعثها نظر وروية في الآيات المتكررة بالكلمات المتفقة والمختلفة وحروفها المتشابهة»؛[10] فتكرار الآيات عنده قسمان: متفق الألفاظ، ومختلف الألفاظ؛ فالأول متفق الألفاظ من غير زيادة ولا نقصان ولا تقديم ولا تأخير؛ فهو "إعادة العبارة بنصها في سياق واحد يستدعي إعادتها، وفي مقام يقتضي هذه الإعادة"،[11] وبالتالي فإن الفرق بين التكرار والمتشابه يكمن في كون التكرار يكون بإعادة الكلام نفسه من غير زيادة أو نقصان، أو تقديم أو تأخير، أو تعريف أو تنكير، وغير ذلك، أما المتشابه فيكون بإعادة الكلام مع اختلاف في لفظه أو أسلوبه؛ هذا التفريق مشى عليه جمع من العلماء كالكرماني (ت505ه)، وابن الزبير الغرناطي (708ه)، وابن جماعة الأنصاري (ت790ه).

ومن العلماء من يعد المتشابه اللفظي فرعا عن التكرار كابن جرير الطبري (ت 310ه)، وابن الأثير (ت637ه)؛ يقول الطبري في تفسيره:« "والمتشابه" هو ما اشتبهت الألفاظ به من قصصهم عند التكرير في السور، بقَصّه باتفاق الألفاظ واختلاف المعاني، وبقصّه باختلاف الألفاظ واتفاق المعاني»؛[12] فهو يقسم المتشابه قسمين:

- ما اتفقت ألفاظه واختلفت معانيه.
- ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه؛ والقسمان يدخلان في مسمى التكرير.

ويقول ابن الأثير:« وأما التكرير فقد عرفتكه، وهو ينقسم قسمين: أحدهما يوجد في اللفظ والمعنى، والآخر يوجد في المعنى دون اللفظ؛ فأما الذي يوجد في اللفظ والمعنى فكقولك لمن تستدعيه أسرع أسرع، ومنه قول أبي الطيب المتنبي :

ولم أر مثل جيراني ومثلي ** لمثلي عند مثلهم مقام

وأما الذي يوجد في المعنى دون اللفظ فكقولك: أطعني ولا تعصني، فإن الأمر بالطاعة نهي عن المعصية»؛[13] فما يوجد في المعنى دون اللفظ يدخل فيه المتشابه اللفظي.

ب- الفرق بين "التكرار" و"تصريف القول": "تصريف القول" أو "التصريف البياني" يتمثل في الآيات التي تكررت في القرآن الكريم بألفاظ متشابهة وأساليب مختلفة إضافة إلى التشابه الذي مرده اختيار كلمة مكان أخرى نحو: (انفجرت: انبجست)، (قضى: كتب)، (حلف: أقسم)، (خاف: خشي) (سنة: عام)، (زوج: امرأة)،

(أنزل: نزّل)، (نجّى: أنجى)؛و هو ما يُعرف عند العلماء بالتصريف في اختيار الكلمات وصيغها،[14] فهو أعم وأشمل من المتشابه اللفظي لتناوله مبحثا آخر وهو ما يتعلق بمدلولات الألفاظ.

وخلاصة القول أن الكلام إذا أُعيد بلفظه ونظمه فهو تكرار محض، وإذا أُعيد بلفظه دون نظمه فهو متشابه، وإذا أُعيد دون لفظه ونظمه فهو تصريف بياني، فالعلاقة بينها علاقة عموم وخصوص، ولهذا فإننا نستطيع أن نعبر عنها جميعا بمصطلح "التكرار".

3- المصطلح الأنسب في مجال الدراسة اللغوية: إن القرآن الكريم قد نزل بلسان العرب، والعرب من مذاهبهم التكرار في الكلام والزيادة فيه، كما أن من مذاهبهم الإيجاز والاختصار؛ يقول ابن قتيبة (ت 276هـ):« وأما تكرار الكلام من جنس واحد وبعضه يجزئ عن بعض، كتكراره في: ﴿قُلْ يا أَيُّهَا الْكافِرُونَ﴾ [الكافرون: 1]، وفي سورة الرحمن بقوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ (13)﴾ [الرحمن: 13]؛ فقد أعلمتك أنّ القرآن نزل بلسان القوم وعلى مذاهبهم؛ ومن مذاهبهم التكرار: إرادة التوكيد والإفهام، كما أن من مذاهبهم الاختصار: إرادة التخفيف والإيجاز؛ لأن افتتان المتكلم والخطيب في الفنون وخروجه عن شيء إلى شيء أحسن من اقتصاره في المقام على فنّ واحد. وقد يقول القائل في كلامه: "والله لا أفعله، ثم والله لا أفعله" إذا أراد التوكيد وحسم الأطماع من أن يفعله، كما يقول: والله أفعله، بإضمار (لا) إذا أراد الاختصار»،[15] فالتكرار إذن هو أسلوب عربي أصيل في لسان العرب. ومن جهة أخرى نلاحظ أن لفظ التكرار غالبا ما يُشعر السامع بالضعف والعجز فهو مظنة الخطأ والسهو، وإعجاز الناس وتحديهم بأمر هو مظنة للضعف إعجاز لا يضاهيه إعجاز، ومن هنا تظهر المكانة المميزة لهذه الظاهرة في مجال الإعجاز البياني للقرآن الكريم؛ يقول عبد القادر أحمد عطا محقق كتاب "البرهان في توجيه متشابه القرآن" مبررا موقفه من اختيار عبارة "أسرار التكرار في القرآن" كعنوان آخر للكتاب:« وإذا تفجرت القوة من مظنة الضعف كان ذلك أدخل في باب الإعجاز، وأعلى كعبا في باب البلاغة والتحدي، ولا نعلم مظنة للضعف أظهر من التكرار، وهو الباب الذي حاوله الكرماني تاج القراء في كتابه "البرهان" فأجاد وأفاد».[16]

ولما تتبعنا المؤلفات التي تناولت هذا الموضوع والتي استخدم مؤلفوها مصطلح "المتشابه اللفظي" عوضا عن مصطلح التكرار وجدنا أن معظمها كان الغرض من تأليفه هو إعانة الحفاظ على ضبط الآيات المتشابهة لفظا؛ ومن أشهر هذه المؤلفات "الآيات المتشابهات- التشابه اللفظي للآيات- حكم وأسرار، فوائد وأحكام" لعبد الله بن محمد بن أحمد الطيار، حيث ختم كتابه بمبحث تناول فيه كيفية حفظ الآيات المتشابهة لفظا في القرآن الكريم، كذلك كتاب "دليل الحفاظ في متشابه الألفاظ وفي متشابهات القرآن الكريم" ليحي عبد الفتاح الزواوي، وأيضا "المعجم المفهرس للتراكيب المتشابهة لفظا في القرآن الكريم" لمحمد زكي محمد خضر، وكأنهم أرادوا بالمتشابه اللفظي ما يُشكل حفظه من الآيات لتشابهها لفظا، وهذا أمر لا ينطبق إلا على الآيات المتباعدة، فلا يشمل المكررات المتجاورة والمتتابعة كقوله تعالى:﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (4) ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾[النبأ:

4، 5]؛ لأجل هذا نرى أن مصطلح "التكرار" أنسب للدراسات اللغوية كالتي نحن بصددها، أما مصطلح "المتشابه اللفظي" فإنه يناسب الدراسات التي تُعنى بتسهيل حفظ القرآن الكريم.

4- من حكم وأسرار ظاهرة التكرار في القرآن الكريم: إن أهم ما يجب على الباحث الدارس لهذه الظاهرة في القرآن الكريم أن يفعله هو أن يبين حكمها وأسرارها وفوائدها؛ وذلك لأن هذه الظاهرة كما أسلفنا هي مظنة العجز والسهو والزلل، فمن الخطر إذن تركها دون بحث عميق ودراسة مفصلة لإبراز أغراضها وأسرارها؛ يقول أبو بكر الباقلاني (ت403هـ) في باب "الكلام في معنى التكرار وفوائده" من كتابه "الانتصار للقرآن":« قالوا: ومما يدلُّ على فسادِ نظمِ القرآن ووقوعِ التخليطِ فيه كثرةُ ما فيه من تكرارِ القصةِ بعينها مرةً بعد مرة وتكرارِ مثلها، وما هو بمعناها وتكرار اللفظ والكلمة بعينها مراتٍ كثيرةً متتابعة، والإطالةُ بذلك، وذلك - زعموا - عيّ وحشوٌ للكلام بما لا معنى له واستعمال له على وجهٍ قبيحٍ ضعيفٍ غير مستساغ في اللغة، قالوا: وإن لم يكن الأمرُ على ما وصفناه فخبرونا ما الفائدةُ بتكرار القصة الواحدة والقصص المتماثلة؟»[17]، وبعد استقراء ما أُتيح لنا من مصادر ومراجع تناولت هذا الأسلوب العربي الأصيل؛ سواء كان ذلك في القرآن الكريم أو في كلام العرب بصفة عامة نستطيع أن نوجز أهم الحكم والأسرار والفوائد المتوخاة منه في شكل نقاط كالآتي:

1- أن الله سبحانه وتعالى خاطب العرب بلسانها وعلى ما تستجيزه في خطابها؛ حيث كانت تستجيز الإطالة والتكرار في مواطن، والاختصار والإيجاز في مواطن أخرى؛ فالعرب تقول: "عجِّل عجِّل"، و"قم قم"، ويقول قائلهم: "آمرك بالصدق وأنهاك عن الكذب"، و"آمرك بطاعة الله وأنهاك عن معصيته"، والأمر بالصدق نهي عن الكذب، والأمر بطاعة الله نهي عن معصيته؛ قال عوف بن الجزع:

وكادت فزارة تصلي بنا ** وأولى فزارة وأولى فزارة

2- أن العرب إذا اهتمت بلفظ كررته؛ سواء كان هذا اللفظ في مواطن التهويل أو التعظيم أو التحسر أو الإنكار أو الإنذار، وغير ذلك من المواطن التي تستدعي الاهتمام؛ يقول ابن الزبير الغرناطي (ت708هـ): « قد تقدم أن العرب مهما اعتنت بشيء واهتمت به كررته، وإن ذلك من فصيح كلامهم، وإن منه قول الخنساء:

وإن صخر لوالينا وسيدنا ** وإن صخراً إذ نشتوا لنحّار

وإن صخراً لتأتم الهداة به ** كأنه علم في رأسه نار

فكررت ذكر صخر ثلاث مرات ظاهراً غير مضمر، وكقول آخر:

لا أرى الموت يسبق الموت شيء ** نغّص الموت ذا الغنى والفقيرا

فكرر لفظ الموت ثلاث مرات في بيت واحد. وقال آخر:

ليت الغراب غداة ينعب دائباً ** كان الغراب مقطع الأوداجِ

وهذا موجود في كلامهم كثيراً إذا قصدوا الاهتمام والاعتناء والتهويل والاستعظام، ومن الوارد في هذا في التنزيل: ﴿الْحَاقَّةُ * مَا الْحَاقَّةُ﴾ [الحاقة: 1 - 2]، ﴿الْقَارِعَةُ * مَا الْقَارِعَةُ﴾ [القارعة: 1 - 2] ، وما ورد من هذا»؛[18] فكُررت "الحاقة" و"القارعة" ومثيلاتها في القرآن الكريم كأصحاب اليمين وأصحاب الشمال والسابقون للتعظيم والتهويل، وكررت الخنساء صخرا لتعظيم مقامه، ومن التكرار للإنذار قوله تعالى:﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ (97) أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ (98) أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾[الأعراف: 97- 99]، ومن التكرار للتهديد والوعيد قوله تعالى:﴿ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى (34) ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى﴾[القيامة: 34- 35]، ومن التكرار للتحسر قول الشاعر:

فيا قبر معن أنت أول حفرة ** من الأرض حُطت للسماحة موضعا

ويا قبر معن واريت جوده ** وقد كان منه البر والبحر مترعا[19]

3- **التوكيد:** فالعرب إذا أرادت أن تؤكد أمرا كررته للاهتمام؛ يقول جمال الدين القاسمي (ت 1332ه): «واعلم أنه لا تؤكد العرب إلا ما تهتم به، فإن من اهتم بشيء أكثر ذكره. وكلما عظم الاهتمام كثر التأكيد، وكلما خفّ، خفّ التأكيد. وإن توسط الاهتمام، توسط التأكيد. فإذا قال القائل: زيد قائم، فقد أخبر بقيامه. فإن أراد تأكيد ذلك، عند من شك فيه، أو يكذبه، أو ينازعه فيه، أكّده فقال: إن زيدا قائم. فإذا جاء ب (إن) فكأنه قال: زيد قائم، زيد قائم، فإن زاد في التأكيد قال: إن زيدا لقائم، فيصير بمثابة ما لو قال: زيد قائم، ثلاث مرات»،[20] ومن أمثلته قوله تعالى:﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (5) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾[الشرح: 5، 6]، و قوله تعالى:﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (3) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[التكاثر: 3، 4]؛ فكل هذا التكرار يُراد به تأكيد المعنى.

4- **التفسير:** وذلك بأن تُفسَّر آية بآية أخرى تشبهها لفظا؛ ومثال ذلك تفسير قوله تعالى في سورة فاطر:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ (5) إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[فاطر: 5، 6] لما يشبهه في سورة لقمان:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [لقمان: 33]؛ حيث فسرت آية فاطر "الغرور" بأنه الشيطان.

5- ثبات أفئدة المؤمنين بين الخوف والرجاء أمر يستدعي تكرار الترغيب والترهيب والتذكير بالجنة والنار باستمرار؛ يقول تعالى:﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾[الفرقان: 32]، فنزول القرآن الكريم أجزاء وتكراره على النبي صلى الله عليه وسلم في أوقات متباعدة فيه تثبيت له وللمؤمنين معه ومن بعده؛ لأنهم إذا داوموا على سماع ما أخبر الله سبحانه وتعالى به من إهلاك الكافرين وتنجية المؤمنين كانوا أقرب إلى طاعته وأبعد عن معصيته.[21]

6- حسن الأدب مع الله عز وجل وعدم إسناد الفعل إليه إلا في مقام التشريف والخير العام؛ مثال ذلك قوله تعالى:﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ **فَأَرَدْتُ** أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا (79) وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا (80) **فَأَرَدْنَا** أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا (81) وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا **فَأَرَادَ رَبُّكَ** أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾[الكهف: 79- 82]؛ حيث تكرر فعل الإرادة ولكن باختلاف الضمائر، فقال في خرق السفينة " فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا"، وقال في قتل الغلام:" فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا...،" وقال في إقامة الجدار:" فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا"؛ ففي خرق السفينة نسب الرجل الصالح - وقيل إنه الخضر عليه السلام في بعض الروايات- العيب إلى نفسه ولم ينسبه لله سبحانه وتعالى تنزيها له، فقال:" فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا"، أما قتل الغلام فهو عمل مشترك بين الخير والشر؛ فظاهره سوء وهو القتل وباطنه خير وهو إبدال الوالدين خيرا من ذلك الغلام، فجيء بالضمير المشترك للعمل المشترك وأُسند الإبدال إلى الله وحده، أما إقامة الجدار فكله خير ولذا أُسند فعل الإرادة فيه لله وحده.

ومن ذلك أيضا قوله تعالى في سورة الجن:﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾[الجن: 10]، فبُني فعل الإرادة للمجهول لمَّا تعلق بالشر، ونُسب إلى الله عز وجل لما تعلق بالرُّشد.[22]

7- البيان لعظيم بلاغة القرآن؛ فمما يدل على الإعجاز البلاغي للقرآن إظهار المعنى الواحد في صور مختلفة، والقصة القرآنية المتكررة ترد في كل موضع بأسلوب مغاير عن الموضع الآخر، وتُصاغ في قالب غير القالب الأول بدليل أن القارئ لا يمل من تكرارها، بل إنه يشعر في كل موضع بمعان جديدة لا يجدها في المواضع الأخرى.

8- قوة الإعجاز؛ لأن إيراد المعنى الواحد في صور شتى مع عجز فصحاء العرب عن الإتيان بصورة واحدة منها أبلغ وأقوى في التحدي.[23]

9- ذكر الشيء على العموم ثم تخصيص الأفضل منه؛ ومنه قوله تعالى:﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾[البقرة: 238].

10- اختلاف المراد من اللفظ المكرر؛ ومن ذلك قوله تعالى:﴿ لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ (1) وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾[البلد: 1، 2]؛ فالمراد بكلمة "البلد" الأولى: البلد الحرام الذي لا يُسفك فيه دم ولا يُروع فيه آمن وهو مكة، والمراد بكلمة "البلد" الثانية مكة يوم الفتح، وفيه أحل الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام هذا البلد، فأصبح هذا البلد بهاتين الصفتين كأنه بلدان.[24]

11- التهكم والاستخفاف بأقوال الكفار؛ ومثاله التكرار في سورة الكافرون: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (1) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (2) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (3) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (4) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾[الكافرون: 1- 5]؛ وذلك لأن الكفار كرروا للنبي صلى الله عليه وسلم قولهم:"تعبد آلهتنا شهرا ونعبد إلهك شهرا..."، فجاء الجواب مكررا مثل قولهم، وهو ضرب من التهكم؛ لأن من كرر كلمة لغرض فاسد جوزي بدفع تلك الكلمة على سبيل التكرار استخفافا واحتقارا لقوله.[25]

12- في تكرار قصص الأنبياء مع أقوامهم حكمة لإشهار هذه القصص في أطراف الأرض، يقول ابن قتيبة (276هـ):« وكان عليه الصلاة والسلام يبعث إلى القبائل المتفرّقة بالسّور المختلفة، فلو لم تكن الأنباء والقصص مثنّاة ومكرّرة لوقعت قصّة موسى إلى قوم، وقصة عيسى إلى قوم، وقصة نوح إلى قوم، وقصة لوط إلى قوم؛ فأراد الله بلطفه ورحمته أن يُشهر هذه القصص في أطراف الأرض ويلقيها في كل سمع، ويثبتها في كل قلب، ويزيد الحاضرين في الإفهام والتحذير».[26]

13- و تظهر حكمة أخرى في تكرار القصص القرآنية تتمثل في فهم قبائل العرب لها؛ وذلك لأن القصة القرآنية تتكرر بألفاظ مختلفة وأحيانا بلغات مختلفة على حسب ما تفهمه القبائل، فيكون تكرار القصص ملائما لتعدد لغات القبائل؛ ومثال هذا ما أورده الأخفش "سعيد بن مسعدة" (ت 215هـ) في "معاني القرآن" عن قوله تعالى:﴿ قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾[طه: 63]؛ حيث قال:« "إنْ" خفيفة في معنى ثقيلة، وهي لغة قوم يرفعون ويدخلون "اللام" ليفرقوا بينها وبين التي تكون في معنى "ما" ونقرؤها ثقيلة، وهي لغة لبني الحارث بن كعب».[27]

14- الرد على المشركين الذين إذا سمعوا قصة من قصص القرآن فبهرتهم قالوا: "حصلت هذه الرمية من محمد فلا يقدر على مثلها"، فتُعاد القصة بذاتها ببلاغة مبهرة كالأولى حتى يوقنوا أن هاته القصص ليست من تأليفه - عليه الصلاة والسلام- ، وإنما هي وحي يُوحى.[28]

15- تعدد العبر ومواطن الاستشهاد في القصة القرآنية الواحدة؛ كقصتي موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام؛ ففي كل موضع تتكرر فيه القصة يُعرض منها ما يُراد الاعتبار أو الاستشهاد به حسب ما يقتضيه السياق.[29]

16- تمكين عِبَر القصة القرآنية في النفس البشرية، مثل قصة موسى عليه الصلاة والسلام مع فرعون؛ فهي تمثل صراع الحق مع الباطل، ففي تكرارها شحذ لقلوب المؤمنين نتيجة تجدد المواعظ لسامعيها.

الخلاصة:

خلاصة ما وصلت إليه من نتائج في هذا البحث ما يلي:

1- عبَّر العلماء عن ظاهرة التكرار في القرآن الكريم بثلاثة مصطلحات متقاربة في المعنى ألا وهي: "التكرار"، "المتشابه اللفظي"، "التصريف البياني".

2- يتمثل الفرق الجوهري بين هذه المصطلحات الثلاثة في كون "التكرار"يُعد إعادة للكلام بلفظه ونظمه، وإذا أُعيد بلفظه دون نظمه فهو المتشابه اللفظي، أما إذا أُعيد دون لفظه ونظمه فهو "التصريف البياني" أو "تصريف القول".

3- لاحظنا أن التكرار هو المصطلح الأنسب في مجال الدراسة اللغوية وذلك لثلاثة أسباب؛ الأول: أن التكرار أسلوب عربي أصيل معروف في لسان العرب منذ القديم، الثاني: أن هذا اللفظ أظهر في بيان الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، الثالث: أن مصطلح "المتشابه اللفظي" غالبا ما يُستعمل في مجال الدراسات التي تُعنى بتسهيل حفظ وضبط الآيات المتشابهة لفظا.

4- لما كان التكرار غالبا ما يُعد مظنة للعي والعجز توجب على الباحثين في مجال الدراسات اللغوية والقرآنية أن يبينوا حكم وأسرار وفوائد هذا الأسلوب، حتى لا يُتخذ ذريعة للتشكيك في البلاغة القرآنية المعجزة.

5- غالبا ما تُكرر العرب اللفظ أو العبارة للاهتمام، سواء كان ذلك في مواطن التهويل أو التعظيم أو التحسر أو الإنكار أو الإنذار، وغير ذلك من المواطن التي تستدعي الاهتمام.

6- يُعد التوكيد أهم أغراض التكرار، لكنه ليس الغرض الوحيد كما ظن ذلك بعض العلماء؛ فهو غالبا ما يُقصد تبعا لا أصالة حسب ما يقتضيه المقام.

7- يُمكن أن يُستفاد من ظاهرة التكرار في تفسير القرآن العظيم، ويُعد تفسير الشنقيطي "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" نموذجا لذلك.

8- يُعد التكرار أحد أبرز مظاهر الإعجاز البياني في القرآن الكريم.

9- يُعد التكرار أيضا أحد مظاهر تيسير القرآن الكريم للناس مصداقا لقوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ [القمر: 17]؛ فالعرب كانت قبائل متفرقة ولكل قبيلة لغتها، فتتكرر القصة القرآنية بلغات القبائل حتى يتسنى لهم فهمها، كما أن في تكرارها تمكينا لعبرها في النفوس البشرية وشحذا لقلوب المؤمنين نتيجة تجدد المواعظ لسامعيها.

الهوامش والإحالات:

[1] - أبو الحسن أحمد ابن فارس، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت- لبنان، ط: 2، 1399- 1977: 5/ 126.

[2] - ابن منظور جمال الدين أبو الفضل، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، ط: 1، 1401- 1981، ص: 3851.

[3] - مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق، القاهرة ،ط: 4، 1425- 2005، ص: 126.

[4] - محمد إبراهيم عبادة، معجم مصطلحات النحو والصرف، دار المعارف، الإسكندرية، (د،ط- د،ت)، ص: 259.

[5] - محمد سمير نجيب اللبدي، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط: 1، 1405- 1985، ص: 194.

[6] - ابن فارس، مقاييس اللغة، ص: 243.

[7] - محمود بن عمرو الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط: 1، 1418- 1998، ص: 493.

[8] - محمد عبد الرؤوف المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، تح: محمد الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط: 1، 1410- 1990، ص: 633.

[9] - بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط: 1، 1376- 1957: 1/ 112.

[10] - الخطيب الإسكافي، درة التنزيل وغرة التأويل، منشورات جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط: 1، 1422- 2001: 1/ 135.

[11] - محمد عبد الله الخولي، التكرار بلاغة، الشركة العربية للطباعة والنشر، أبريل 1413- 1993، ص: 21.

[12] - محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تح: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط: 1، 1420- 2000: 6/ 178.

[13] - ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت- صيدا، 1420- 2000: 2/ 146.

[14] - ينظر: محمود توفيق سعد، الإمام البقاعي ومنهاج تأويله بلاغة القرآن الكريم، مكتبة وهبة، القاهرة، ط: 1، 1424- 2004، ص: 301، وينظر: بومدين هواري، السياق الدلالي وأثره في توجيه معاني آيات الإعجاز القرآني- دراسة في رحاب التكرار- ، مخطوط رسالة ماجستير، جامعة الجزائر 1، 2010- 2011، ص: 105.

[15] - ابن قتيبة الدينوري، تأويل مشكل القرآن، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، (د،ط- د،ت)، ص: 149- 150.

[16] - محمود بن حمزة الكرماني، البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، تح: عبد القادر أحمد عطا، دار الفضيلة، القاهرة، 1977- 1397، ص: 14.

[17] - أبو بكر الباقلاني، الانتصار للقرآن، تح: محمد عصام القضاة، دار الفتح: عمان- الأردن، دار ابن حزم: بيروت، ط: 1، 1422- 2001: 2/ 800.

[18] - ابن الزبير الغرناطي، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، تح: عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، (د، ط- د، ت): 2/ 462.

[19] - ينظر: فاضل صالح السامرائي، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، دار عمار، عمان- الأردن، ط: 3، 1423- 2003، ص: 229.

[20] - جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط: 1، 1418- 1998: 1/ 160.

[21] - ينظر: الباقلاني، الانتصار للقرآن، ص: 801، 802.

[22] - ينظر: فاضل صالح السامرائي، التعبير القرآني، دار عمار، عمان- الأردن، ط: 4، 1427- 2007، ص: 313، 314.

[23] - ينظر: المرجع نفسه، ص: 302.

[24] - ينظر: الخطيب الإسكافي، درة التنزيل، ص: 530، وينظر: السامرائي، لمسات بيانية، ص: 231.

[25] - ينظر: أبو عبد الله مصطفى بن العدوي، التسهيل لتأويل التنزيل، مكتبة مكة، طنطا- مصر، ط: 2، 1424- 2004، ص: 637.

[26] - ابن قتيبة الدينوري، تأويل مشكل القرآن، ص: 234.

[27] - الأخفش سعيد بن مسعدة، معاني القرآن، تح: هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: 1، 1411- 1990: 2/ 444.

[28] - ينظر: محمد أبي اليسر عابدين، الإيجاز في آيات الإعجاز، تح: كريم راجح، دار البشائر، دمشق، ط: 1، 1414- 1994، ص: 201.

[29] - محمد أبو زهرة، المعجزة الكبرى، دار الفكر العربي، القاهرة، 1390- 1970، ص: 176.